حوار

بقلم : احمد طلعت

الذين عاصروا الحياة السياسية في مصر قبل الثورة ،واكثرهم قد بلغ سن الستين أو تجاوزها بعدة سنوات ،أسفون لما يجري الآن علي الساحة السياسية .. فرغم بعض الاخطاء في الممارسة ،فقد كانت هناك دولة ثابتة الاركان تتسع منابرها لاختلاف الرأي ،وكانت هناك صحافة حرة - في ملكيتها وفي توجهاتها -وكانت هناك حياة برلمانية حقيقية تقوم علي تعدد الفكر واحترام ارادة الناخبين ،وكانت هناك احزاب تنشأ بارادة مؤسسيها دون وصاية من أحد ،ودون تدخل من الدولة .

وكانت المدارس الثانوية والجامعات برلمانا مصغرا يتعلم فيه الشباب مباديء السياسة والوطنية ،ويتلقون من خلال الاجتماعات التي تعقد في المدارس والجامعات الدروس الاولي في احترام الرأي الآخر والقدرة علي المناقشة والحوار ،والاجتهاد في تقييم الاحداث السياسية والحكم علي رجال السياسة .وكان للأزهر الشريف دور القيادة والريادة في كل الحركات الوطنية بكل ما يمثله من اعتدال وفهم عميق لصحيح الدين ،دون أن يحاول فرض الوصاية والهيمنة علي تطور البلاد في اتجاه المدنية والتنوير .

وتحت شعار تصحيح بعض اخطاء الممارسة ،جاءت الثورة لتضرب حرية الرأي والاجتهاد ،وتعطل الحياة البرلمانية ،وتحل الاحزاب السياسية ،وتفرض سياسة الرأي الواحد ،والرجل الواحد ،وهي تتوهم انها تحتكر الحق والحقيقة ،وتمارس ابشع انواع الارهاب الفكري ،فتتهم كل من يخالفها في الرأي بالخيانة والعمالة والانحراف .

وكان نتيجة ذلك ان تحولت اغلبية الشعب الي السلبية واللامبالاة ،واتجهت قلة قليلة الي العنف والارهاب ،وهي تظن ان العنف والارهاب هي الوسيلة الوحيدة الباقية لمعارضة من يحتكرون السلطة ،ويتوهمون انهم يحتكرون الحق والحقيقة ...!!

ولم يكن يخفي علي أحد - في فترة من الفترات - أن الدستور قد اصبح (تفصيلا) علي مقاس الحكام ،وان الحياة البرلمانية قد اصبحت (واجهة) يمارس الحزب الحاكم من خلفها ابشع صور التحكم والدكتاتورية ،وأن الاحزاب لاتقوم الا بإرادة الحاكم ، ولاتتحرك الا في حدود (المساحة) المسموح بها لهذه الاحزاب ،وبحجة المحافظة علي النظام منع طلبة المدارس والجامعات من ممارسة السياسة ،وبحجة (تطوير) الازهر الشريف تحولت هذه المؤسسة الاسلامية العالمية الي جزء من الجهاز الحكومي ،يتقاضي مشايخها المرتبات والعلاوات ،وتتحكم الدولة في تعيين القيادات وفرض الزعامات .وفشل الحزب الذي يدعي (الاغلبية) في ملء الفراغ السياسي ،فزادت السلبية ،واتسعت ظاهرة التطرف والارهاب ،وهي ظاهرة (اساسها) المعارضة لنظام قفل جميع ابواب الحوار، واتهم كل من يخالفه في الرأي بالخيانة والعمالة ،فلم يجد معارضوه الا ان يتهموه بالكفر والالحاد .ونحن من أكثر الناس معارضة لفرض الرأي بالقوة والارهاب ،ومن اكثر الناس ادانة لاعمال القتل والتخريب وسفك الدماء ،لكننا فقط (نفسر) الظروف التي ادت الي مانحن فيه الآن من توتر ومخاطر لن ينجو احد من نتائجها ،ولن يبقي احد في مامن من عواقبها .

لذلك فاننا نوجه النصيحة (مخلصة) بتوسيع قاعدة الديمقراطية ،والقبول باجتهاد الرأي الآخر ،ورفع جميع القيود المفروضة الآن علي قيام الاحزاب السياسية ،واصدار الصحف الحرة بغير وصاية أو (توجيه) ووضع حد لفترة امتدت حتي الآن لاكثر من اربعين عاما ، احس فيها اغلبية المواطنين ان الوطن ليس وطنهم ،وان الارادة ليست ارادتهم ،وان القرار ليس قرارهم .

ونحن نعلم مقدما ان اصحاب المصلحة في البقاء في مقاعد السلطة سوف يقولون بان المزيد من الديمقراطية لابد ان يفتح المجال واسعا امام المتطرفين للسيطرة علي الحكم وضرب الديمقراطية ،ولهؤلاء نقول بان الديمقراطية لايحميها الا الديمقراطيون ،ولايمكن ابدا ان يحميها الفساد والانفراد بالرأي وفرض الارادة ،فالشعوب التي تتذوق طعم الحرية وتمارسها لايمكن ابدا ان تحمي الحرية وهي تنتهكها في اليوم الواحد الف مرة ...!!

افتحوا الابواب ولاتخافوا ،فان الابواب المغلقة هي (المدخل) الطبيعي للعنف والتطرف والحوار بطلقات الرصاص.